هذه المجالات جميعا ، فدعا الى المضمون الانساني العقلاني في الأدب وطرح موضوع مسؤولية الشاعر أمام قرائه .

كان بايرون شاهد عيان على الانقلاب الصناعي في انجلترا. وقد عرف مأساة محطمي الآلات وأحداث الثورة الفرنسية وقمع الانتفاضات المتعددة في سكوتلانده . وكان يحس دائما انه يعيش في عصر انعطاف هام يتضاءل أمامه « كل ماينسب الى عهود يأجوج ومأجوج » على حد تعبيره .

وقام بايرون مابين عامي ١٨٠٩ — و ١٨١١ برحلة الى بلاد الشرق زار خلالهـا البرتغال واسبانيا والبانيا واليونان وتركيا وبدأ خلال هذه الرحلة تعلم التركية واليونانيـة والالبانية والايطالية وشهد المعارك الطاحنة التي تخوضها الشعوب من أجل حريتها واستطاع ان يتعرف على سياسة دولته الاستعمارية .

لقد خرج بايرون في رحلته « ليكون رأيه حول الانسانية من خلال تجربته الشخصية لامن خلال الكتب » . وقد أغنت هذه الرحلة مدارك الشاعر فعلا وغرست في نفسه الاهتمام الكبير بحضارات الشعوب الأخرى ونمت فيها الاحترام الكبير لتلك الحضارات . ولم يكن كل ذلك الغنى والانفتاح على العوالم الأخرى مناقضا للشعور الوطني عند بايرون بل كان على العكس دافعا لتعميق هذا الشعور السامي واغنائه .

كتب بايرون بعد رحلته هذه قصيدته الرائعة « تشايلد هارولد » التي قدم فيهـا لوحة واسعة لاتحد . ان بطل القصيدة يجول في ربوع اسبانيا التي خربتها الحروب مـع نابليون ثم يلتقي في البانيا واليونان الاسبانيين ضد الاستعباد. وقد قدمت هذه القصيدة صورا حية للفدائيين الاسبان المناضلين في سبيل حرية اسبانيا اولئك الذين لم تهبهم البلاد شيئا سوى حياتهم ولكنهم وقفوا يدافعون عنها بينما تركها لمصيرها من اغدقت عليهـم الألقاب والأوسمة .

لقد فر الملك وحملة الألقاب واستسلموا
ولكن الجنود يرفعون راية النضال
انك لم تعطيهم يا اسبانيا غير الحياة
وحريتك غالية عليهم كهـذه الحياة